مشروع تعليم الصلاة
Prayer Teaching Project
مملكة البحرين/المنامة/تأسس سنة ١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ

الخطّة الدراسيّة للفصل الأول للعام المأتمي 2018-2019م

الفرقة: الخامسة

رمز المقرر: خلق 511

اسم المقرّر: وصايا الأولياء

توصيف المقرّر

يتناول هذا المقرّر بعض المواضيع الأخلاقية التي تضمنتها وصايا الأولياء، كقضاء حاجة الإخوان، التحذير من ظلم من لا يجد ناصرًا إلا الله، الوصايا النبوية في بناء الذات، قسوة القلب، العمل في الدنيا بالإضافة لدوام البر وعدم نسيان الذنب.

الخطّة الأسبوعيّة

الأسبوع	الموضوع	الصفحة	ملاحظات
الأوّل	قضاء حاجة الإخوان	5	
الثّاني	ظلم من لا يجد ناصرًا إلا الله	11	
الثّالث	الوصايا النبوية في بناء الذات	15	
الرّابع	قسوة القلب	23	
الخامس	العمل في الدنيا	29	
السّادس	دوام البر وعدم نسيان الذنب	37	

فهرس المحتويات

الدرس	العنوان	الصفحة
الأول	قضاء حاجة الإخوان	5
الثاني	ظلم من لا يجد ناصرًا إلا الله	11
الثالث	الوصايا النبوية في بناء الذات	15
الرابع	قسوة القلب	23
الخامس	العمل في الدنيا	29
السادس	دوام البر وعدم نسيان الذنب	37

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الأوّل

قضاء حاجة الإخوان

أولاً: مفاهيم محورية:

- وصايا المعصومين عليهم السلام خطابٌ مباشرٌ لنا.
- الغفلة عن كلامهم توجب أذيتهم عليهم السلام.
- قضاء حوائج المؤمنين من أعظم الجهاد.
- قضاء حوائج المؤمنين.
- الاستهانة بحقوق الإخوان توجب عذاب الأمة.

ثانيًا: نصُّ الوصيّة:

رَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْن شُعْبَةَ فِي تُحَفِ الْعُقُولِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله جَعْفَر بْن مُحَمَّدٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ الله بْن جُنْدَبٍ: "**يَا ابْنَ جُنْدَبٍ الْمَاشِي فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَالسَّاعِي بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَقَاضِي حَاجَتِهِ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ الله يَوْمَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَمَا عَذَّبَ الله أُمَّةً إِلاَّ عِنْدَ اسْتِهَانَتِهِمْ بِحُقُوقِ فُقَرَاءِ إِخْوَانِهِمْ**... 1.

ثالثًا: تمهيد:

هناك مسألة مهمة ينبغي للمؤمن أن يتنبّه إليها، وهي مسألة لها دور كبير في طريق تطوّره ورقيّه الروحي والنفسي والمعنوي، وهذه المسألة هي كيفية تعاطي الإنسان المؤمن مع النصوص الشرعية وكيفية تلقّيه لها، سيّما الأخبار والروايات والوصايا الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، فإنَّ طريقة تلقّي الإنسان المؤمن

---

1 ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرَّسول، ص 291، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفّاري، الطَّبعة الثَّالثة 1404، مؤسسة النَّشر الإسلامي التَّابعة لجماعة المدرّسين، قم.

لكلام أهل البيت عليهم السلام والكيفية التي بها يسمع ويتلقف كلامهم لها دورٌ كبيرٌ وأساس في تفاوت الناس من حيث مراتب الاستفادة والتأثر والتفاعل مع كلماتهم عليهم السلام.

رابعًا: وصايا المعصومين عليهم السلام خطابٌ مباشرٌ لنا:

للمؤمن مع كلام أهل البيت عليهم السلام حالتان: فتارة هو يتلقّى كلام أهل البيت عليهم السلام ويستمع له من باب أنّه قصص الأولين وأنّه كلام قيل لغيره، وهو إنما يستمع إليه لما فيه من حكمة وعبرة حصلت في الزمان الغابر لا تتصل به ولا تعنيه بشكل مباشر، إلا أنّه يستأنس بها، وبما فيها من حكاية عن أحوال أهل ذلك الزمان، وفي أحسن الأحوال تراه ينقلها لأهله ومجتمعه كشواهد أخلاقية وحكايات ونصائح تحكي عن المجتمع أو الفرد المثالي.

وتارة يكون المؤمن ملتفتاً وفاهماً ومستوعباً إلى أنَّ كلامهم عليه السلام يُمثّل خطاباً مباشراً له، فالإمام المعصوم عليه السلام يُخاطبه بشخصه، وناظرٌ إليه بخصوصه ومراقب له ومنتظر منه الامتثال لهذه التوجيهات التي خاطبه بها كأحسن ما يكون الانقياد والامتثال.

وبين هاتين الحالتين اختلافٌ كبيرٌ في كيفية التفاعل والتأثّر بكلامهم، ففي الحالة الثانية سيكون التأثير كبيراً لكلامهم عليه السلام على روحية المؤمن، بحيث يكون كلامهم عليه السلام بالنسبة إليه النور والدستور والطريق التي سوف يسير على أساسه في حياته ويتفاعل به مع مَن هم حوله، وسوف يؤدّي الانقياد التام إلى توجيهاتهم عليه السلام والشعور الدائم بأنّه تحت نظرهم ورقابتهم عليه السلام إلى السعي نحو نيل أعلى مراتب الكمال، والرقي في أشرف منازل الورع والتقوى، ليكون بذلك من المقرّبين لديهم عليه السلام.

خامسًا: الغفلة عن كلامهم توجب أذيتهم عليه السلام:

أمّا في الحالة الأولى وما شابهها من حالات الغفلة والسهو عن كلام أهل البيت عليهم السلام، فإنّ المؤمن في تلك الحال يكون من أكبر الغابنين لنفسه، ومن أكثر الخاسرين لأعظم الفرص والمفرّطين بأقدس الكنوز، وفوق ذلك كلّه يكون الغافل الساهي ممن يُسبّب الأذى للمعصومين عليهم السلام، ويُدخل الحزن على قلوبهم الشريفة، ويجعل كلامهم في معرض التوهين بإهماله وتهاونه بقداسة ما يصدر عنهم عليه السلام، وقد روي أنّه حضر عند الإمام الباقر عليه السلام ذات يوم جماعة من الشيعة، فوعظهم وحذّرهم وهم ساهون لاهون، فأغاظه ذلك، فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه إليهم فقال: "**إنَّ كلامي لو وقعَ طرفٌ منه في**

قلبِ أحدِكم لصار ميتاً، ألا يا أشباحاً بلا أرواح وذباباً[2] بلا مصباح، كأنّكم خشبٌ مسندةٌ وأصنامٌ مريدة، ألا تأخذون الذهبَ من الحجر؟ ألا تقتبسون الضياء من النور الأزهر؟ ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر؟... ويحك يا مغرور ألا تحمد مَنْ تعطيه فانياً ويعطيك باقياً... كأنّك قد نسيت ليالي أوجاعك وخوفَك، دعوته فاستجاب لك، فاستوجب بجميل صنيعه الشكر، فنسيته فيمن ذكر، وخالفته فيما أمر، ويلك! إنّما أنت لصٌّ من لصوص الذنوب، كلّما عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت إليه وأقدمت بجهلك عليه، فارتكبته كأنك لستَ بعين الله، أو كأنَّ الله ليس لك بالمرصاد..."[3].

سادسًا: قضاء حوائج المؤمنين من أعظم الجهاد:

وبالعودة إلى وصية الإمام الصادق عليه السلام نقول: إنَّ المتأمّل في أحكام الشريعة بشكلٍ عامّ يجد أنَّ المولى سبحانه وتعالى قد وضع المؤمن في حالة من الجهاد دائم، فلا تكاد تخلو حالة من أحوال المؤمن لا يكون فيها على جهاد في سبيل الله، فالمؤمن إمّا مشغولٌ بالجهاد الأكبر ومنكبٌّ على محاربة نفسه التي بين جنبيه، وإمّا هو مجاهد في خدمة الدين والمجتمع والإخوان، وينبغي أنْ نلتفت إلَى أنَّ المؤمن لا يجدر به أن يتهاون في بعض مسائل الشريعة استصغاراً منه لها، أو ظناً بأنّها أصغر من غيرها شأناً وأقل منها قيمة وأثراً في نظر المولى تعالى، فإنَّ هذا خطأ كبيرٌ سببه الجهل بأحكام المولى تعالى، ووقوع المؤمن فيه شيءٌ خطيرٌ، قد يؤدّي به فيما بعد إلى ما لا تحمد عقباه، وفي أقل الأحوال يكون خارجاً عمّا شرّعه له مولاه ومخالفاً له في ما يحبه له ويريده منه، فضلاً عمّا فيه من مفاسد أخرى قد تطال الفرد والمجتمع.

ومن جملة هذه الأبواب العظيمة التي جعلها الله تعالى سبباً ومغنماً في الدنيا، وتوجب لمن عمل بها الأمن والنجاة في الآخرة، هي مسألة قضاء حوائج المؤمنين.

ولذا جاء التأكيد عليها في الكثير من الروايات منها: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **"احرصوا على قضاء حوائج المؤمنين وإدخال السّرور عليهم ودفع المكروه عنهم فإنّه ليس من الأعمال عند الله عزّوجلّ بعد الإيمان أفضل من إدخال السّرور على المؤمِنين"**[4].

---

2 في بعض النُّسخ: ذبالاً، وهي: فتيلة المصباح.

3 تحف العقول عن آل الرَّسول، ص290، مرجعٌ سابق.

4 العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ص313، ج71.

وهذه المسألة من ضمن المسائل التي كانت عرضة للغفلة والتهاون، حيث يغفل المؤمنون عن أهميتها أحياناً أو يقع منهم التهاون بها، ظناً منهم أنَّ غيرها من الأمور العبادية قد تفوقها أهمية بحسب نظرهم القاصر، فاحتاج أهل البيت عليهم السلام إلى التنبيه على أهمّيتها والحثّ عليها، فجعلوها في ضمن وصاياهم التي تركوها للأمة، إشارة منهم إلى ضرورة عدم خلو المجتمع الديني منها، وبيّنوا عظيم الأثر والثواب المترتّب عليها، وعظيم الخطر والفساد المترتّب على تركها، لأنَّ أحكام الشريعة المقدّسة يكمّل بعضها بعضاً فلا تحصل النتيجة الكاملة المرجوة منها فيما لو وقع التهاون والإهمال في بعضها، فالمداومة ـ مثلاً ـ على الصلاة والصوم والحج من جهة، وإغفال قضايا الناس وحوائجهم من جهة أخرى، يُعطي نتيجة ناقصة في مجال تطبيق الشريعة، وهذا خلاف غرض الله تعالى من جعل التكاليف.

فقد روى الكليني قدس سره عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ: **"كُنْتُ أَطُوفُ مَعَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَعَرَضَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا كَانَ سَأَلَنِي الذَّهَابَ مَعَهُ فِي حَاجَةٍ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَكَرِهْتُ أَن أَدَعَ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام وَأَذْهَبَ إِلَيْهِ فَبَيْنَما أَنَا أَطُوفُ إِذْ أَشَارَ إِلَيَّ أَيْضاً فَرَآهُ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام فَقَالَ يَا أَبَانُ إِيَّاكَ يُرِيدُ هَذَا، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَنْ هُوَ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، قَالَ: هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَاذْهَبْ إِلَيْهِ، قُلْتُ: فَأَقْطَعُ الطَّوَافَ، قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ طَوَافَ الْفَرِيضَةِ، قَالَ: نَعَمْ..."**[5].

ومن هنا ينبغي للمؤمنين إعادة النظر فيما قد يصدر عنهم في هذا المجال مما قد يكون مصداقاً لهذه الشبهة، فكثيراً ما نشاهد ونسمع من بعض المؤمنين أنّهم قد يعتذرون عن خدمة إخوانهم، فيعطّلون قضاء حوائجهم بمثل الانشغال بالصلاة أو الاعتكاف أو الزيارة وما شاكل ظناً منهم أنَّ هذا أهمّ من ذاك، في حين أنَّ رضا الله تعالى في هذه الحالات كان في غير ما توهّموه بحسب ما ورد في الرواية، فكيف بمن يعتذر ويتعلّل بما هو أقلّ من ذلك، فيهمل حوائج إخوانه طلباً للراحة والرخاء مثلاً ؟!!

سابعًا: الاستهانة بحقوق الإخوان توجب عذاب الأمة:

إنَّ الله سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقي لهذا الكون، وهو سبحانه مالك الدين وصاحب الشرع، وبيده التصرُّف في الثواب والعقاب، وبيده أن يجعل الثواب الجزيل والخير الكثير على الأمور التي قد تكون

5 الكُلَيْني، مُحَمَّد بن يعقوب، الكافي، ج2، ص171، ح 8، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري، الطَّبعة الثّالثة 1367ش، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

بنظرنا القاصر مجرّد أمور صغيرة قليلة الأهمية، وبيده سبحانه أن يجعل العقاب الخطير والعذاب الأليم على أمور قد تكون حقيرة وتافهة بنظرنا القاصر الضعيف، ولذلك فإنَّ الميزان الصحيح الذي يعصمنا عن الخطأ في تقدير موقفنا وتكليفنا في هذا المقام هو أن ننظر ونراقب اهتمام المولى تعالى في ما يأمرنا به وينهانا عنه، ومن خلال اهتمام المولى بالشيء نستكشف أهميته في الشريعة، ولا يجوز لأحدٍ من المكلفين أن يستقلّوا بأن يقرّروا بأنفسهم ما هو الشيء المهم وما ليس كذلك، فمن قول الإمام عليه السلام: "**الْمَاشِي فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَالسَّاعِي بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَقَاضِي حَاجَتِهِ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَمَا عَذَّبَ اللهُ أُمَّةً إِلاَّ عِنْدَ اسْتِهَانَتِهِمْ بِحُقُوقِ فُقَرَاءِ إِخْوَانِهِمْ...**" نستكشف أهمية وخطورة مسألة قضاء حوائج المؤمنين عند المولى، وأنّ غرضه هو انتشار هذه الظاهرة في المجتمع الإيماني، والمبالغة في الاهتمام بها، والحثّ عليها حتى جعل لها هذه الآثار الخطيرة والكبيرة، فأعطى لمن امتثل ثواب أكبر وأقدس شهداء الإسلام، وجعلها كالتصدي للجهاد في معارك مفصلية وأساسية في تاريخ الإسلام، ولولاها لما قامت للدين قائمة، وجعل من آثار إهمالها والاستهانة بها نزول العذاب على الأُمّة التي تهمل هذه القضية الخطيرة عنده تعالى، فلا تعمل على نشرها وترويجها، وجعلها من الظواهر التي يبتني عليها المجتمع المؤمن.

بل إنَّ الظاهر من قول الإمام عليه السلام: "**وَمَا عَذَّبَ اللهُ أُمَّةً إِلاَّ عِنْدَ اسْتِهَانَتِهِمْ بِحُقُوقِ فُقَرَاءِ إِخْوَانِهِمْ**" أنَّ الاهتمام بحقوق الإخوان موجبٌ لتأخير نزول العذاب على الأمة المستحقة للعذاب، مع أنَّ الأمم لا تستحق نزول العذاب عليها إلا بارتكابها لأشياء كبيرة وخطيرة كالكفر والتجبّر والعصيان للمولى، إلا أنَّ المولى تعالى يعطيها المزيد من الفرص ويؤخّر عنها ما تستحقه من عذاب ما دامت محافظة على مسألة حقوق فقرائها، ويسعى أهلها في قضاء حوائج بعضهم، فإذا فرّطوا في ذلك أيضاً أنزل الله تعالى عليهم العذاب، لأنّه لم يعد بينهم وبين العذاب حاجب.

فالله تعالى قد يتجاوز ويؤخّر عقاب الكافر المشرك لأجل أن يعطيه المزيد من الفرص، وليُظهر له أنّه يحبّ له أن يدخل في الدين لأجل ما عنده من صفات حسنة يحبها الله تعالى ويحبّ أن يراها في المجتمع الإيماني، كما وقع للكافر الذي كان يتآمر مع جماعة على اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأطلع الله نبيه على ذلك، فأرسل صلى الله عليه وآله وسلم إليهم علياً عليه السلام فقاتلهم وجاء بهم أسارى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقدمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعرض الإسلام على الأول فأبى، فأمر

صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام بقتله فقتله، ثم عرض على الثاني كذلك فأبى، فقُتل أيضاً، فلما وصل إلى الثالث الذي أبى الإسلام أيضاً فوضعه علي عليه السلام تحت السيف ليضربه **"فهبط جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد إنّ ربك يقرئك السلام ويقول لك: لا تقتله فإنّه حسن الخلق، سخيٌّ في قومه، فقال الرجل وهو تحت السيف: هذا رسول ربك يخبرك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم، فقال: والله ما ملكت درهماً مع أخٍ لي قط إلا أنفقته، ولا تكلمت بسوء مع أخ لي، ولا قطبت وجهي في الجدب، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هذا ممّن جرّه حسن خلقه وسخاؤه إلى جنات النعيم"**[6].

6 الشيخ الصدوق، الخصال، ص 96، ح 41، تصحيح: علي أكبر غفاري، سنة الطبع 1403، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين، قم المقدسة.

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الثاني

ظلم من لا يجد ناصراً إلا الله

أولاً: مفاهيم محورية:

- حقيقة الظُّلم.
- ظلم مَنْ لا ناصر له.
- جزاء الظلم في العاجلة قبل الآجلة.

ثانيًا: نصُّ الوصيّة:

روى ثقة الإسلام الكليني قدس سره بإسناده إِلَى أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: **"لَمَّا حَضَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام الْوَفَاةُ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ أُوصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي عليه السلام حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ، قَالَ: يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِراً إِلاَّ الله"**[7].

ثالثًا: خصائص هذه الوصية:

تمتاز هذه الوصيّة بمجموعةٍ من الخصائص تؤكّد على أهميّتها ولزوم العمل بها:

منها: أنَّها صدرت عن معصوم خبيرٍ بشؤون النفس البشرية، كخبرةِ الطبيب الحاذق والحكيم الماهر، وقد جاء في نهج البلاغة لسيِّد الفصحاء والمتكلمين يصف طبيب النفوس من نبيٍّ أو وصيٍّ بأنَّه:

7 الكُلَيْني، مُحَمَّد بن يعقوب، الكافي، ص2، ج331، ح 5، تصحيح وتعليق على أكبر غفاري، الطَّبعة الثّالثة 1367ش، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

: "طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَآذَانٍ صُمٍّ وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ"8. فكما أنَّ المريض في الأمراض

الجسدية يحاول أن يرجع إلَى أفضل الأطبّاء في التشخيص والمعالجة، فلا بدّ له في الأمراض المعنوية والعلل النفسية أنْ يرجع إلَى مَنْ كان مطّلعاً على خصائص النفس البشرية، ومرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بخالق النُّفوس، ومَنْ هو أفضلُ من المعصوم عليه السلام في ذلك؟

ومنها: تكرُّر هذه الوصيّة من أكثر من معصوم، حيث تقدّم في نصِّ الوصيّة أنَّ الإمام السجاد عليه السلام أوصى ولده بها، وأخبره أنَّها وصيّة الإمام الحسين عليه السلام له أيضاً. ولا يخفى ما في هذا التَّكرار من الاهتمام من قِبَلِهم عليه السلام بمضمون هذه الوصيّة، وشدّة حرصهم عليها، ورغبتهم في تحقيقها.

ومنها: أنَّها صدرت في لحظة حضور الوفاة، تلك المرحلة التي يكون فيها الإنسان بعيداً كلّ البعد عن التأثيرات الدُّنيوية، والأهداف الشخصانية، كيف وهو مزمعٌ على الرحيل، ومنصرفٌ إلَى المثول بين يدي الجبّار الَّذِي لا تخفى عليه خافية، وهو عليمٌ بذاتِ الصدور! وكيف إذا اجتمع ذلك مع كونه معصوماً لا ينطق عن أهواء نفسانية ووسوساتٍ شيطانية.

ومنها: كونها إشفاقية، كما يستفاد ذلك من قوله: (ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ)، ولا يخفى أنَّ شفقة الموصي على الموصَى له أدخل في تقبُّل النفس.

ومنها: اشتمالها على التحذير، كما يفهم من تصديرها بكلمة: (إِيَّاكَ)، الأمر الَّذِي يدلُّ على خطورة مضمونها، وكونه أمراً لازم الاجتناب.

والحاصل: أيُّها الحبيب، أنت مقبلٌ على الاستماع إلَى وصيَّةٍ صادرةٍ من إمام معصومٍ خبيرٍ بنفوسنا وطبيب لأسقامنا، يهمُّه أمرنا، ويشفقُ على حالنا، ويريد منَّا أنْ نحذر من عاقبةِ هذا الأمر الخطير الَّذِي يدعونا إلَى الابتعاد عنه. فهلّا أقبلت بآذانٍ صاغية، وجوارح مطيعة!

8 نهج البلاغة، ص120، تحقيق وتصحيح: عزيز الله العطاردي، نشر: مؤسسة نهج البلاغة، الطبعة الأولى 1414هـ قم المقدسة.

رابعًا: حقيقة الظُّلم:

الظُّلم الَّذِي هو من ألأم الرذائل كما ورد في الخبر9، قد اهتمّ علماء الأخلاق في تعريفه وبيان حدوده، ويمكن تلخيص ذلك بعبارةٍ جامعة:

إنَّه الاعوجاج في الطريق، والخروج منه يمنةً ويسرةً، وعدم الاستقامة في العمل، ويختصر ذلك بقولهم: (**جعل الشيء في غير موضعه**). كما أنَّ حقيقة العدل الَّذِي يقابله: عبارة عن الاستواء والاستقامة في جادة الشرع، وعدم الخروج منها يمنة ويسرة، وهو المعبّر عنه بـ(**وضع كلّ شيء في موضعه**).

وعليه، فالتجاوز والإضرار المحض الَّذِي لا نفع يترتّب عليه، ولا يكون لأجل دفع ضرر أعظم، في العاجل أو الآجل، يكون ظلماً. والظلم بهذا المعنى يتناول جميع ذمائم الصفات والأفعال، فتمكين الظالم من ظلمه لمّا كان صفة ذميمة يكون ظلماً، كما أنَّ تمكين الظالم من النفس والانقياد له نوعٌ من الذّلة، وهذا ظلمٌ للنفس، وظلم النفس من أقسام الظلم10.

خامسًا: ظلم مَنْ لا ناصر له:

من أقبح أنواع الظلم وأشدّها عقاباً عند الباري عزّ وجلّ هو: (**ظُلْمَ مَنْ لا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِراً إلاَّ الله**) كما ورد في نصّ الوصية. وقد سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَيُّ ذَنْبٍ أَعْجَلُ عُقُوبَةً لِصَاحِبِهِ؟ فَقَالَ: "**مَنْ ظَلَمَ مَنْ لا نَاصِرَ لَهُ إلاَّ الله**"11، ومن هنا رُوي عنه عليه السلام أيضاً: "**ظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ**"12.

---

9 انظر: اللَّيثي الواسطي، علي بن مُحَمَّد، عيون الحكم والمواعظ، ص51، تحقيق الشَّيْخ حسين الحسني، الطَّبعة الأُولى 1376ش، دار الحديث، قم.

10 راجع: النراقي، الملا محمد مهدي، جامع السعادات، ج2، ص83، تحقيق وتعليق: السَّيِّد محمد الكلانتري، تقديم: الشَّيْخ محمد رضا المظفّر، نشر: دار النعمان، الطبعة الرابعة. محاضرات في أصول الفقه (تقرير بحث السَّيِّد الخوئي) ج2، ص103، الطبعة الأولى 1419، نشر: مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

11 المحدّث النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج12، ص102، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولى 1408، بيروت.

12 نهج البلاغة، ص345، تحقيق وتصحيح: عزيز الله العطاردي، نشر: مؤسسة نهج البلاغة، الطبعة الأولى 1414هـ قم المقدسة.

وطبيعيٌّ جدّاً أنَّ الباري ينصرُ المظلوم سواء كان قوياً أم ضعيفاً إلاَّ أنَّ نصره للضعيف آكد وأشدّ، فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: **"الْعَبْدُ إِذَا ظُلِمَ فَلَمْ يَنْتَصِرْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يَنْصُرُهُ رَفَعَ طَرَفَهُ إِلَى السَّمّاءِ فَدَعَا اللهَ تَعَالَى، قَالَ جَلَّ جَلالهُ: لَبَّيْكَ عَبْدِى أَنْصُرَكَ عَاجِلاً وَآجِلاً اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَحَداً لا يَجِدُ نَاصِراً غَيْرِي"**13، وقد حُكِي أنَّ ظالماً ظلم ضعيفاً أعواماً، قال المظلوم للظالم يوماً: إنَّ ظلمك عليَّ قد طاب بأربعة أشياء:إنَّ الموت يعمّنا، والقبر يضمّنا، والقيامة تجمعنا، والديّان يحكم بيننا.

سادسًا: جزاء الظلم في العاجلة قبل الآجلة:

التجارب البشريّة لمسيرة الظالمين تشهد بأنَّ الله سبحانه وتعالى لم يهملهم، بل ولم يمهلهم بشكلٍ تامٍّ في العقاب والعذاب إلَى يوم الجزاء الأكبر، بل انتقم منهم في هذه الدُّنيا الزائلة، ولا أقلّ بانكشاف ظلمهم وانفضاحهم أمام الناس.

ولذا نجد الحثَّ على اجتناب الظُّلم ولو كان صغيراً، أو كان لغير الإنسان أيضاً، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول صادعاً بالحقّ: **"وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا عَلَى أَن أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَلَنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لا تَبْقَى"**14.

13 انظر: المولى المازندراني، محمد صالح، شرح أُصول الكافي، ج9، ص360، تحقيق: أبو الحسن الشعراني، الطبعة الأولى 1382هـ نشر: المكتبة الإسلامية، طهران.

14 نهج البلاغة، ص265.

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الثَّالِث

الوصايا النبوية في بناء الذات

الوصايا النبوية في بناء الذات

أولاً: مفاهيم محورية:

- ربّانيّة المنهج التربوي عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.
- الْيَأْس عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاس، والطمع بما في أيديهم.
- صَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ.
- إِيَّاكَ وَمَا تَعْتَذِرُ مِنْهُ.
- وَأَحِبَّ لأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ.

ثانياً: نصُّ الوصية:

ورد في أمالي الشَّيْخ الطوسي قدس سره بإسناده إِلَى الإمام الرِّضا عَنْ آبَائِهِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِبٍ (صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)، قَالَ: جَاءَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَوْصِنِي وَأَقْلِلْ لَعَلِّي أَنْ أَحْفَظَ. قَالَ: "**أُوصِيكَ بِخَمْسٍ: بِالْيَأْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّهُ الْغِنَى، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ، وَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، وَإِيَّاكَ وَمَا تَعْتَذِرُ مِنْهُ، وَأَحِبَّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ**"[15].

ثالثًا: ربانيّة المنهج التربوي عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام:

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام عنوانٌ مضيءٌ وشامخٌ في حياة الإنسانية وحركة التاريخ والمسيرة الإنسانية. فهم أعلام الهدى وقدوة المتّقين، عُرفوا بالعلم والحكمة والحلم وسائر صفات

---

15 شيخ الطَّائفة، مُحَمَّد بن الحسن الطُّوسي، الأمالي، ص508، المجلس الثامن عشر، تحقيق: قسم الدَّراسات الإسلاميَّة في مؤسسة البعثة، الطَّبعة الأُولى 1414، نشر: دار الثقافة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، قم.

الكمال في الشخصية الإسلامية، فما يصدر منهم صادرٌ عن ربّهم، ولهذا صحّ القول بأنّ منهجهم ربانيّ، كما تدلّ أحاديثهم الشريفة على ذلك أيضاً. فهذا أمير المؤمنين يقول فِي وَصِيَّتِهِ إِلَى كُمَيل: **"إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أَدَّبَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَدَّبَنِي وَأَنَا أُؤَدِّبُ الْمُؤْمِنِينَ وَأُوَرِّثُ الأَدَبَ الْمُكَرَّمِينَ"**16. وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: **"وَاللهِ مَا نَقُولُ بِأَهْوَائِنَا وَلا نَقُولُ بِرَأْيِنَا وَلا نَقُولُ إِلاَّ مَا قَالَ رَبُّنَا"**17.

وكان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام يتّخذون من العبرة والموعظة وسيلة تربوية لتنوير العقل والقلب، إذ بهما يعي الإنسان حركة الحياة من حيث الشدّة والرخاء وأسباب التقدّم والتأخّر للمجتمعات، ويُقلع عن الممارسات المنحرفة، ويتوجّه لإصلاح نفسه لتسمو وتتكامل. وقد أثبت هذا المنهج التربوي قدرته على بناء الإنسان بناءً متكاملاً، فقد تخرّج على هذا المنهج مئات الشخصيات التي كانت قمةً في السُّمو الروحي والتكامل النفسي والسلوكي، وقدوة لجميع بني الإنسان، لاستشعارها بأنّ المنهج ربانيّ النشأة والمصدر، وعلى الرغم من ابتعاد أغلب المسلمين عن هذا المنهج التربوي إلا أنّ آثاره بقيت حاكمة على كثيرٍ من المواقف والممارسات، وكان المسلمون، خصوصاً أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، أقلّ انحرافاً من غيرهم.

رابعًا: اليأس عما في أيدي الناس، والطمع بما في أيديهم:

اليأس المذكور يحصل بقطع الطمع عمّا في أيدي الناس، والطمع شعبةٌ من شعب حبّ الدنيا، ومن الرذائل المهلكة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: **"اسْتَغْنِ بِالله عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ وَاحْتَجْ إِلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرَهُ وَأَفْضِلْ عَلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ"**18.

والأخبار في ذمّ الطمع كثيرة، وكفى به ذمّاً أنّ كلّ طامعٍ يكون ذليلاً مهاناً عند الناس.

16 المحدث النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج17، ص267، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولى 1408، بيروت.

17 العلامة المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج27، ص102، الطّبعة الثّالثة 1403، دار إحياء التُّراث، بيروت.

18 الشَّيْخ المفيد، مُحَمَّد بن النُّعمان العكبري، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج1، ص303، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التُّراث، الطَّبعة الثَّانية 1414، نشر دار المفيد، بيروت.

فعن الإمام الباقر عليه السلام: "**بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ لَهُ طَمَعٌ يَقُودُهُ وَبِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ لَهُ رَغْبَةٌ تُذِلُّهُ**"19.

وقيل للإمام الصادق عليه السلام: "**مَا الَّذِي يُثْبِتُ الإِيمَانَ فِي الْعَبْدِ؟ قَالَ: الْوَرَعُ. وَالَّذِي يُخْرِجُهُ مِنْهُ؟ قَالَ:الطَّمَعُ**"20.

فالطامع يكون وثوقه بالناس واعتماده عليهم أكثر من وثوقه بالله، إذ لو كان اعتماده على الله أكثر من اعتماده على الناس لما نظر إليهم، بل لم يطمع من أحدٍ شيئاً إلا من الله سبحانه وتعالى.

وفي مقابل الطمع يأتي الاستغناء عن الناس، الذي عُدّ من الفضائل الموجبة لتقرّب العبد إلى الله تعالى، فمن استغنى بالله عن غير الله أحبّه الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العُرُوضِ إِنَّما الغِنَى غَنَى النَّفْسِ**"21. وعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: "**إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ لا يَسْأَلَ رَبَّهُ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ فَلْيَيْأَسْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلا يَكُونُ لَهُ رَجَاءٌ إِلاَّ عِنْدَ الله فَإِذَا عَلِمَ الله عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَسْأَلِ الله شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ**"22. ورَوَى الْحَسَنُ بْنُ رَاشِدٍ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: "**أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ الله شَيْئاً، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالْيَأْسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّهُ الْغِنَى الْحَاضِرُ، قَالَ: زِدْنِي يَا رَسُولَ الله، قَالَ: إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ**"23.

والطمّاع محبٌّ للدُّنيا متكالبٌ عليها، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**وَإِيَّاكُمْ وَاسْتِشْعَارَ الطَّمَعِ فَإِنَّهُ يَشُوبُ الْقَلْبَ شِدَّةَ الْحِرْصِ وَيَخْتِمُ عَلَى الْقُلُوبِ بِطَابَعِ حُبِّ الدُّنْيَا وَهُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ سَيِّئَةٍ وَرَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَسَبَبُ إِحْبَاطِ كُلِّ حَسَنَةٍ**"24.

---

19 الشيخ الكُلَيْني، مُحَمَّد بن يعقوب، الكافي، ج2، ص320، تصحيح وتعليق على أكبر غفاري، الطَّبعة الثّالثة 1367ش، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

20 م. ن.

21 انظر: النراقي، الملا محمد مهدي، جامع السعادات، ج2، ص83، تحقيق وتعليق: السَّيِّد محمد الكلانتري، تقديم: الشَّيْخ محمد رضا المظفّر، نشر: دار النعمان، الطبعة الرابعة.

22 الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص148.

23 الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، ج4، ص410، باب النوادر، ح 5762، نشر: مؤسسة النّشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، 1413هـ

24 المحدث النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج12، ص70، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولى 1408، بيروت.

وقطع الطمع عمّا في أيدي الناس يؤدّي بالإنسان إلَى المراتب العالية، ففي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام: **"قَالَ لُقْمَانُ لابنهِ فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَجْمَعَ عِزَّ الدُّنْيَا فَاقْطَعْ طَمَعَكَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاس فَمَا بَلَغَ الأَنبِيَاءُ وَالصِّدِّيقُونَ مَا بَلَغُوا إلاَّ بِقَطْعِ طَمَعِهِمْ"**25.

ويُعالَج الطمع بمعرفة أنَّ الغنى الحقيقيّ يكون بالقناعة، وأنّ الطمع لا يدفع فاقةً ولا يمنع مصيبة، وفي الخبر عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: **"مَنْ قَنِعَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ فَهُوَ مِنْ أَغْنَى النَّاس"**26.

خامسًا: صلِّ صلاة مودع:

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"اذْكُر المَوْتَ فِي صَلاتِكَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ المَوْتَ فِي صَلاتِهِ لَحَرِيٌّ أَنْ يُحْسِّنَ صَلاتَهُ، وَصَلِّ صَلاةَ رَجُلٍ لا يَظُنُّ أَنْ يُصَلِّي صَلاةً غَيْرَهَا"**27.

واعلم أيُّها العزيز أنَّ تعامل الناس مع الدنيا على نوعين: فمنهم من وطّد علاقته بها، ورضي بالمتاع العاجل، ويصدق عليه قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾"28.

ومنهم مَنْ انقطع إلى الآخرة وأهمل الدنيا، أي: لا يشتغلون للدنيا، فهم غير فعّالين فيها ولا يبالون بمجتمعهم وأسرهم، وهذا النّوع كسابقه مرفوضٌ. والكلمة الفصل في هذا المجال لأمير المؤمنين عليه السلام عندما قال: **"اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً وَاعْمَلْ لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَداً"**29.

وعندما يرشد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى صلاة المودّع لا يعني ذلك ترك الدنيا وإهمالها، بل ليكون التفكير بالموت حافزاً على العمل الخالص لله تعالى في الدنيا.

---

25 المصدر نفسه: 69.

26 الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشّيعة، ج15، ص258، كتاب الجهاد، الباب: (23)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطّبعة الأُولى 1412، قم.

27 الديلمي، ابن شيرويه، الفردوس، ج1، ص431.

28 سورة التوبة، الآية: 38.

29 الأشتري، ورام، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ج2، ص234، دار صعب ودار التعارف بيروت.

والمؤمن بصلاته يعرج إلى ربّه، والصلاة لها حالةٌ خاصةٌ يُشعر المؤمن نفسه بأنّها آخر صلاة خصوصاً في صلاة العشاء، فهي آخر صلاة في اليوم وبعدها سوف يعرض عليه النوم الَّذِي هو نوع من أنواع الموت: "ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾"30. فالموت والنوم أخوان قريبان، ومن أين للإنسان الضمان أنّ الله يُرجع له الروح بعد النوم، ولهذا من الممدوح جدّاً عندما يستيقظ من النوم أن يخرّ ساجدًا ويقول: (الْحَمْدُ لِله الَّذِي أَحْيَانِي بَعْدَ مَا أَمَاتَنِي وَإِلَيْهِ النُّشُورُ).

سادسًا: إياك وما تعتذر منه:

أيْ: لا تعرّض نفسك للمواقف الخاطئة التي تضطرك للاعتذار ممّن قد أخطأت بحقّهم، ولا ينبغي للمؤمن أن يكون إنساناً كثير الخطأ وكثير الاعتذار، رغم أنّ من يعتذر خيرٌ ممّن يخطئ ولا يعتذر. لكنّ العاقل لا يجعل نفسه في موضع الاعتذار، ولا بُدّ للمؤمن أن يكون متذللاً بين يدي ربّه وليس أمام البشر. وفي الخبر: **"لا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ، قُلْتُ: مَا يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لا يَدْخُلُ فِيمَا يَعْتَذِرُ مِنْهُ"** 31.

وفي الخبر: **"إِيَّاكَ وَمَا تَعْتَذِرُ مِنْهُ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لا يُسِيءُ وَلا يَعْتَذِرُ،وَالْمُنَافِقُ يُسِيءُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَعْتَذِرُ"**32. وهذا الخبر الحكمة يُبيّن لنا أهميّة اعتناء المؤمن بكرامته وعزّته. فالإنسان إذا تجاوز حدّه يسيء ويعتذر، نعم يلزم على الإنسان إذا صدرت منه معصية أن يستغفر الله تعالى منها، فقد ورد في الدعاء: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ"**33، وليس ذلك إلاَّ لأنّ الوقاية خيرٌ من العلاج، والدفع خير من الرفع. فوقاية المعاصي خير من علاجها، والمؤمن لا يُسيء (هذا دفعٌ) حتى لا يعتذر، والمنافق كلّ يوم يسيء (هذا مرضٌ) ويعتذر لرفع المرض. وربّما لا يوفّق الإنسان للتوبة فيأتيه ملك الموت أثناء المعصية.

---

30 سورة الزمر، الآية: 42.

31 الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج16، ص158.

32 الحر العاملي، محمد بن الحسن، هداية الأُمة إِلَى أحكام الأئمة، ج5، ص578، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأُولى 1412هـ، مشهد.

33 الشيخ الطوسي، مصباح المتهجّد، ص219، مؤسسة فقه الشيعة، ط.أولى، 1990م.

سابعًا: وأحبَّ لأخيك ما تحب لنفسك:

إنّها باختصار النصيحة القيّمة التي تقول لنا: اجعلوا المقياس بينكم وبين إخوانكم أنفسكم، فالإيجابيّ بالنسبة لأنفسنا إيجابيٌ بالنسبة لهم، وكذلك السلبي. والعمل بهذه النصيحة تحوّل ساحة الحياة المزروعة بالأشواك إلى ساحة تكثر فيها الورود والأزهار، بل تحوّلها إلى جنة مصغّرة. وقد اهتمّ الإسلام بالأخوّة الإنسانية والإسلامية، وجعل لها قواعد وأسس لنجاحها، ومن تلك الأسس "**وأحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك**"، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ بِكَلِمَةٍ يُلَطِّفُهُ بِهَا وَمَجْلِسٍ يُكْرِمُهُ بِهِ لَمْ يَزِلْ فِي ظِلِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَمْدُوداً عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ**"[34].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإنْ كان غائباً دعا له، وإنْ كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده[35]. والإنسان الجاهل قبل الإسلام كان منكفئاً على ذاته متقوقعاً داخل أسوار نفسه، وبفضل الإسلام غدا إنساناً اجتماعياً يشعر بمعاناة إخوته، يمدّ يد العون لهم، ويشاركهم في مكاره الدهر، وهذه النقلة الحضارية يشير إليها القرآن الكريم بصورة جليّة في قوله تعالى: "وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ"[36]. وللسنّة النبوية الأثر البالغ في تدعيم وترسيخ مبدأ الأخوة وما يستلزمه من التزامات اجتماعية كقضاء حوائج الإخوان وإعانتهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**مَنْ مَشَى فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْفَعَتِهِ فَلَهُ ثَوَابُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ**"[37].

وما انفكّ صادق آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوصي بمبدأ الأخوة في مختلف الأحوال والظروف، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: أَتَانِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَبَلِ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ عِنْدَ الْوَدَاعِ: أَوْصِنِي.

34 العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج71، ص316.

35 م. ن، ج16، ص233.

36 سورة آل عمران، الآية: 103.

37 الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج12، ص286.

فَقَالَ: "**أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله وَبِرِّ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ، وَأَحِبَّ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَإِنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَإِنْ كَفَّ عَنْكَ فَاعْرِضْ عَلَيْهِ، وَلَا تَمَلَّهُ خَيْراً فَإِنَّهُ لا يَمَلُّكَ، وَكُنْ لَهُ عَضُداً فَإِنَّهُ لَكَ عَضُدٌ، إِنْ وَجَدَ عَلَيْكَ فَلا تُفَارِقْهُ حَتَّى تَسُلَّ سَخِيمَتَهُ، وَإِنْ غَابَ فَاحْفَظْهُ فِي غَيْبَتِهِ، وَإِنْ شَهِدَ فَاكْنُفْهُ وَاعْضُدْهُ وَوَازِرْهُ وَأَكْرِمْهُ وَلَاطِفْهُ، فَإِنَّهُ مِنْكَ وَأَنْتَ مِنْهُ**"[38].

38 الشَّيْخ الطوسي، أمالي، ص98.

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الرابع

قسوة القلب

أولاً: مفاهيم محورية:

- معنى قسوة القلب.
- أسباب قسوة القلب.
- نقد العهد والميثاق.
- طول الأمل.
- الذنوب.
- كثرة الكلام بغير ذكر الله.
- أكل المال الحرام.

ثانيًا: نصُّ الوصية:

روى الشَّيْخ الطوسي قدس سره في أماليه بإسناده إِلَى سَعْدِ بْن زِيَادٍ الْعَبْدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام، قَالَ: "**فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ:... يَا ابْنَ آدَمَ، أَصْبَحَ قَلْبُكَ قَاسِياً وَأَنْتَ لِعَظَمَةِ الله نَاسِياً، فَلَوْ كُنْتَ بِالله عَالِماً، وَبِعَظَمَتِهِ عَارِفاً، لَمْ تَزَلْ مِنْهُ خَائِفاً...**"39.

ثالثًا: تمهيد:

إِنَّ الكلام عن قسوة القلب وما توجبه من نتائج وما ترتكز عليه من أسباب ودواعي هو كلامٌ مهمٌّ للغاية، لما لهذه الحالة التي تصيب الإنسان من أثر سلبيّ في التعامل مع الله تعالى.

---

39 شيخ الطَّائفة، مُحَمَّد بن الحسن الطُّوسي، الأمالي، ص203، المجلس السابع، تحقيق: قسم الدِّراسات الإسلاميَّة في مؤسسة البعثة، الطَّبعة الأُولى 1414، نشر: دار الثقافة للطَّباعة والنَّشر والتَّوزيع، قم.

والمراد بقسوة القلب: صلابته وعدم رقّته وخشوعه أمام الله تعالى، قال المرحوم العلامة الطباطبائي: **"القسيّ من القلوب ما لا يخشع لحقٍّ ولا يتأثّر برحمة"**40.

ولا شكّ أنَّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين قسوة القلب وبين البُعد عن الله والغفلة وعدم الالتفات إلى عظمته تعالى، لذا فقد وصف الله تعالى بني إسرائيل في كتابه بأنّهم ابتلوا بقسوة القلب نتيجة كفرهم ومعاصيهم وقيامهم بأعمال غير مرضية عنده تبارك تعالى، حيث يقول: " فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾"41.

لذا لا بدّ من الإشارة إلى الأسباب التي توجب هذا المرض الخطير، الَّذِي إذا ابتلي به العبد حصل على نتائج سلبية أقلّها الطرد من رحمة الله تبارك وتعالى، إلاَّ أنَّ الكلام في هذه الموعظة فعلاً عن الأسباب التي تقود إلَى هذه الخصلة المهلكة.

رابعًا: أسباب قسوة القلب:

تكشف الآيات القرآنية والروايات الواردة عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم عن عدد من الأسباب المؤدية لحصول هذه القسوة لدى الإنسان، يمكن أن نلخّص أهمّها فيما يلي:

1- نقض العهد والميثاق:

فقد ورد في الآية المتقدّمة: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً)، حيث جعلت سبب لعنهم وجعل قلوبهم قاسية هو نقض الميثاق وتخلّفهم عما وعدوا الله تعالى به.

وهذا حكاية عن بني إسرائيل كما تقدمت الإشارة إليه، ومن الواضح أنَّ القرآن وصف في كثير من الآيات بني إسرائيل وكفرهم وقتلهم الأنبياء وإفسادهم في الأرض وغيرها من الأمور التي اشتهروا بها، ولا يزالون.

40 الطباطبائي، مُحَمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج5، ص240، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم.

41 سورة المائدة، الآية: 13.

وهذا الأمر لا يختصُّ ببني إسرائيل، بل هو شاملٌ لجميع النّاس ومنهم الَّذِين آمنوا، فإنّ المؤمن له عهودٌ ومواثيق مع ربّه تبارك وتعالى، ينبغي أنْ يحافظ عليها ولا ينقضها، قال تعالى"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ "42.

2- طول الأمل والاطمئنان بالحياة الدنيا:

يعتبر طول الأمل والاطمئنان بالحياة الدنيا من الأسباب الرئيسة في قسوة القلب، حيث ورد في الآية الكريمة: " أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ "43.

كما ورد أيضاً في رواية الكافي عن علي بن عيسى رفعه قال: **"فِيمَا نَاجَى الله عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مُوسَى عليه السلام يَا مُوسَى لا تُطَوِّلْ فِي الدُّنْيَا أَمَلَكَ فَيَقْسُوَ قَلْبُكَ وَالْقَاسِي الْقَلْبِ مِنِّي بَعِيدٌ"**44.

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **"لا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَتَقْسُوا قُلُوبُكُم"**45.

ومن الطبيعي أنَّ الإنسان عندما يطول أمله في هذه الدنيا ويطمئن بها وبالحياة فيها، فسوف ينسى شيئاً فشيئاً مرحلة انتقاله عنها وتركه لها، وبالتالي لن يعمل لتلك المرحلة ولن يتفاعل مع أيّ شيء يمكن أن ينقل قلبه إليها، وذلك لأنّه تمسّك بهذا العالم وعمل له وجعل أمله منحصراً فيه دون سواه. لذا نرى أنَّ كلّ الأسباب المؤدية إلى قسوة القلب والتي سنذكرها لاحقاً تشترك فيما بينها بهذه المسألة، وهي التوجّه إلى الدنيا وترك الآخرة، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: **"مَنْ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ غَداً فَإِنَّهُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ أَبَداً وَمَنْ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ أَبَداً يَقْسُو قَلْبُهُ وَيَرْغَبُ فِي الدُّنْيَا وَيَزْهَدُ فِي الَّذِي وَعَدَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى"**46.

---

42 سورة الأنفال، الآية: 27.

43 سورة الحديد، الآية: 16.

44 الشيخ الكُلَيْني، مُحَمَّد بن يعقوب، الكافي، ج2، ص329، تصحيح وتعليق على أكبر غفاري، الطَّبعة الثّالثة 1367ش، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

45 الشَّيْخ الصَّدوق، مُحَمَّد بن عليّ بن بابويه، الخصال، ص622، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفّاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة 1403، قم.

46 المحدّث النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج2، ص106، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولى 1408، بيروت.

والعكس صحيح، فإنَّ كلّ ما يمكن أن يقلّل من توجّه الإنسان إلى الدنيا ويذكّره بالآخرة فهو يليّن القلب، كما ورد في وصية الإمام أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام: **"أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ"**47.

ولهذه الآية المتقدمة قصة جميلة حصلت مع الفضيل بن عياض، لا بأس بنقلها في المقام، حيث ينقل صاحب سفينة البحار كيف أنَّ هذه الآية القرآنيّة التي ذكرناها قد استقرّت في أعماق وجوده فأثّرت في روحه، ومحت برنامج سنين طويلة من القتل والنهب والإغارة، فتاب وصار في صفّ أولياء الله والمقرّبين في فناء حضرته، وله حالات ومقامات وكرامات صارت سبب عبرة أهل زمانه، وقد جعله كشف الحجب الظلمانيّة ثمّ النورانيّة في زمرة العرفاء السامين الأجلّاء.

يقول: كان في أوّل أمره يقطع الطريق بين أبِيوَرْد وسَرَخْس، وكانت القوافل تعاني منه الأمرَّين. عشق جارية، فبينما كان يرتقي الجدران إليها سمع تالياً يتلو: "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ"48. فقال والدموع تنحدر من مآقيه: آنَ، آنَ، آن والله.

فرجع وأوى إلى خربة، فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل. وقال بعضهم: حتى نُصبح، فإنّ فضيلاً على الطريق يقطع علينا، فأخبرهم الفضيل بتوبته وآمنهم، وقال: اذهبوا في أمان الله لا بأس عليكم.

ثمّ التحق الفضيل من هناك بصحبة الإمام الصادق عليه السلام، وصار من أصحابه وخواصّه المحدِّثين عنه، يذكره جميع الكبار بالوثاقة والعدالة ويعدّون رواياته معتبرة49.

وهذه القصة تعطي الإنسان أملاً في أنّه مهما قسا قلبه، فإنّ الله تعالى يمكن أن يمنحه أموراً في بعض الأحيان تليّن له هذا القلب القاسي، فإن استجاب لها نجا، وإلا عاد إلى ما كان عليه من القسوة والبعد عن الله، وهذا ما تشير إليه الرواية النبوية: **"إِنَّ لِلهِ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلا فَتَرَصَّدُوا لَهَا"**50.

---

47 الشريف الرضي، محمد بن الحسين الموسوي، نهج البلاغة، ص336، تحقيق وتصحيح: عزيز الله العطاردي، نشر: مؤسسة نهج البلاغة، الطبعة الأولى 1414هـ قم المقدسة.

48 سورة الحديد، الآية: 16.

49 نقلاً عن كتاب ملكوت القرآن، ج3، ص219.

50 ابن أبي جمهور الإحسائي، محمد بن علي، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج1، ص296، تحقيق: مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم، الطبعة الأُولى 1403هـ

3- كثرة الذنوب:

من أسباب قسوة القلب كثرة الذنوب، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: "**ما جفّت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب**"[51].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**ثلاثة يقسين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان**"[52].

والمراد باستماع اللهو هو استماع الغناء والموسيقى، والتي صارت شائعة وسهلة المنال في عصرنا هذا، حتى أنت ترى الكثير من الناس المتشرعين يتساهلون بهذه الأمور، ولا يرون لها أي أثر على حياتهم الدينية والسلوكية. لكن الأثر يظهر في قلب هذا المسكين، وينعكس على سلوكه وعبادته، فيشكو من عدم التوجّه في العبادة ومن قلّة التفاعل مع الدعاء، ومن جفاف الدمعة من خشية الله، فهذه كلها نتائج طبيعية لتلك المعاصي التي يبتلى بها الإنسان دون أن يشعر أو يدري.

وأيضاً ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**ترك العبادة يقسّي القلب، ترك الذكر يميت النفس**"[53].

ومن الواضح أن ترك العبادة واستماع اللهو وطلب الصيد وإتيان باب السلطان التي وردت في الروايتين الأخيرتين تشترك جميعاً في أنها معاصي، إذ كل ترك للواجب حرام ويعد معصية، وكذا ينبغي أن يكون الحال في سائر المعاصي والمحرمات الأخرى.

4- كثرة الكلام بغير ذكر الله:

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب، إن أبعد الناس من الله القلب القاسي**"[54].

---

51 الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج16، ص25، باب تحريم قسوة القلب.

52 السيد البروجردي، ج17، ص206، باب تحريم استماع الغناء والملاهي.

53 الري شهري، ميزان الحكمة، ج3، ص2612.

54 الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج8، ص536، باب وجوب حفظ اللسان.

وعن عمرو بن جميع عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: **"لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون"**55.

والحديث عن كثرة الكلام ذو فصول، لكن نقصر النظر فيه على هذه الخصوصية التي يُقسي فيها قلبَ الإنسان ويبعده عن الله تعالى، فإن الكلام في أي شيء كان وحول أي أمر، فإما أن يكون باطلاً فهذا بنفسه مبعد عن الله ومقسٍ للقلب. وإما أن يكون لغواً لا فائدة فيه ولا طائل منه، فيكون شاغلاً للإنسان عن الله وعن ذكره عز وجل. وإما أن يكون حقاً وفي محلّه فهذا هو الذي يكون ذكراً، ولا يتنافى مع رقة القلب، لذا فقد استثناه النبي في الرواية بقوله **"بغير ذكر الله"**.

5- أكل المال الحرام:

فقد ورد أن الإمام الحسين عليه السلام قام يوم عاشوراء لمخاطبة أهل الكوفة، فلم ينصتوا له، فكلّمهم وفيما قال لهم: **"... كلّكم عاصٍ لأمري غير مستمع قولي، فقد مُلئتْ بطونكم من الحرام، وطبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟ ألا تسمعون؟"**56.

إذ أكل المال الحرام له الكثير من الآثار والكثير من التبعات التي لا تحمد عقباها، وتبقي الإنسان رهناً بها إلى يوم القيامة. ولعل الكلام عن تأثيره على قسوة القلب بسيط بالقياس إلى تلك الآثار الأخروية التي قد لا يطيق الإنسان سماعها فضلاً عن تحملها، كالآية التي تتحدث عن أكل مال الأيتام: "إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠"57.

ولعل أكثر ما نبتلى به في مجتمعنا من أكل المال الحرام هو الربا والتعامل مع البنوك والشركات المساهمة التي تعطي ربا تسميه (أرباحاً)، فإن هذا المال إذا نبت عليه لحمي ودمي فسوف يترك آثاراً كبيرة في سلوكي وروحيتي لا تمحى بسهولة.

كما أن الكثير من الناس يُبتلون بعدم دفع حقوق الناس التي عليهم، وحقوق الله تعالى التي في ذمتهم، فيصير مالهم مختلطاً بمال غيرهم وهو ما يعطي الأثر ذاته.

---

55 م. ن، ج12، ص196، باب كراهة كثرة الكلام.

56 العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج54، ص8.

57 سورة النساء، الآية: 10.

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الخامس

العمل في الدنيا

أولاً: مفاهيم محورية:

- الموازنة بين الدنيا والآخرة.
- الدُّنيا الملعونة ودنيا البلاغ.
- خطورة حب الدنيا وعلاجه.
- مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القزّ.

ثانيًا: نصُّ الوصية:

ورد في الكافي الشريف عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام: **"تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا وَأَنْتُمْ تُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ عَمَلٍ وَلا تَعْمَلُونَ لِلآخِرَةِ وَأَنْتُمْ لا تُرْزَقُونَ فِيهَا إِلاَّ بِالْعَمَلِ..."**[58].

و عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: **"إِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً وإِنَّ الآخِرَةَ قَدِ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً ولِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ ولا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا أَلا وكُونُوا مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ أَلا إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطاً والتُّرَابَ فِرَاشاً والْمَاءَ طِيباً وقَرِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْرِيضاً"**[59].

---

58 الشيخ الكُلَيْني، مُحَمَّد بن يعقوب، الكافي، ج2، ص319، تصحيح وتعليق على أكبر غفاري، الطَّبعة الثّالثة 1367ش، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

59 م. ن، الكافي، ج2، ص132.

ثالثًا: الموازنة بين الدنيا والآخرة:

إن من غرائب الإنسان رغم ما يحمل من قوة عقل وفكر انه يعطل تفكيره في الآخرة وعمله لها، ويستغرق في الدنيا فكراً وعملاً، مع أن الدنيا فانية والآخرة باقية، وبالحسابات المنطقية التفكير والعمل للدائم أولى منهما للزائل.

وليس معنى ذلك أن الدين الإسلامي يمنع التفكير والعمل للدنيا ، كلا فالدين الإسلامي متوازن يحث على الاعتدال في كل شيء ، فهو دين الاعتدال.

يقول تعالى: "...كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ"60.

فنلاحظ أن الآية الكريمة تقول لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة، وهي واضحة فيما قلناه من التوازن الإسلامي، ويقول تعالى: "وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ " 61.

روي عن الإمام الحسن عليه السلام: "**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا**"62. يقول المولى صالح المازندراني قدس سره: قال الله تعالى لأهل الدنيا:" وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا .. "﴿٦﴾63، ولأهل الآخرة: "وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ "64، فطلب العمل للدنيا مع أنَّها تنال بدونه، وترك العمل للآخرة مع أنَّها لا تنال إلاَّ به، دلّ على نقص الإيمان، وأنّه مجرّد التقوّل باللسان.

وقد خاطب المسيح عليه السلام بقوله: (**وَيْلَكُمْ عُلَمَاءَ سَوْءٍ**): علماء الدين بالنداء، وذمّهم بترك العمل بعلومهم توقّع الأجر إنكاراً لذلك، وحثّهم على العمل بقوله: (**يُوشِكُ رَبُّ الْعَمَلِ أَنْ يُقْبَلَ عَمَلُهُ**)، إنْ خيراً فخيرٌ وإنْ شراً فشرٌّ.

---

60 سورة البقرة، الآيتان: 219 – 220.

61 سورة القصص، الآية: 77.

62 الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج1، ص146.

63 سورة هود، الآية:6.

64 سورة النجم، الآية: 39.

(**وَيُوشِكُ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ**): فيجدوا ما كانوا فيه من خير وشرّ حاضراً، وفيه ترغيبٌ في ترك الدُّنيا، لقلّة مدّتها وسرعة زوال شدّتها، وتحريضٌ على العمل لما بعدها، والأعمال الصالحة أنوارٌ تدفع ظلمات القبر والقيامة.

(**كَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ هُوَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى آخِرَتِهِ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى دُنْيَاهُ وَمَا يَضُرُّهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّا يَنْفَعُهُ**):

ما يضرّه الدُّنيا وأعمالها المطلوب منها متاعها، وما ينفعه الآخرة وأعمالها المستلزمة رفيع درجاتها، ومن أدبر عن الثاني وأقبل إِلَى الأوّل، وأحبّ الدّنيا والاستكثار منها، وصحبة أهلها للجاه والمال، فليس بعالمٍ، وإنّما العالم من عرف الله وعظمته وعزّه وقهره وغلبته ودينه وكتابه وسنته وبعثه، ذلك على الورع والتقوى والزهد في الدنيا، ودوام الهيبة والخشية والعمل للّه وهو الّذي وصفه اللّه تعالى بقوله: (**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**)65.

رابعًا: الدُّنيا الملعونة ودنيا البلاغ:

في الحديث عن الإمام السجاد عليه السلام: "**الدُّنْيَا دُنْيَاءَانِ دُنْيَا بَلَاغٌ وَدُنْيَا مَلْعُونَةٌ**"66.

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: "**فِي مُنَاجَاةِ مُوسَى عليه السلام يَا مُوسَى إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ عُقُوبَةٍ عَاقَبْتُ فِيهَا آدَمَ عِنْدَ خَطِيئَتِهِ وَجَعَلْتُهَا مَلْعُونَةً مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ مَا كَانَ فِيهَا لِي**"67.

هذا معيارٌ كاملٌ للدّنيا الملعونة وغيرها، فكلّ ما كان في الدّنيا ويوجب القرب إلى الله تعالى من المعارف والعلوم الحقة والطاعات وما يتوصل به إليها من المعيشة بقدر الضرورة والكفاف، فهي من الآخرة وليست

65 انظر: المولى المازندراني، محمد صالح، شرح أُصول الكافي، ج9، ص330، تحقيق: أبو الحسن الشعراني، الطبعة الأولى 1382هـ نشر: المكتبة الإسلامية، طهران.

66 م. ن، ص317.

67 م. ن.

من الدّنيا، وكلّ ما يصير سبباً للبعد عن الله والاشتغال عن ذكره، ويلهي عن درجات الآخرة وكمالاتها، وليس الغرض فيه القرب منه تعالى والوصول إلى رضاه فهي الدنيا الملعونة.

قيل: ما يقع في الدنيا من الأعمال أربعة أقسام:

الأول: ما يكون ظاهره وباطنه لله، كالطاعات والخيرات الخالصة.

الثاني: ما يكون ظاهره وباطنه للدنيا، كالمعاصي وكثير من المباحات أيضاً، لأنّها مبدء البطر والغفلة.

الثالث: ما يكون ظاهره لله وباطنه للدّنيا، كالأعمال الريائية.

الرابع: عكس الثالث، كطلب الكفاف لحفظ بقاء البدن، والقوة على العبادة، وتكميل النفس بالعلم والعمل68.

خامسًا: خطورة حب الدنيا وعلاجه:

إن الإقبال على الدنيا والاستغراق فيها يؤدي بالإنسان إلى الانزلاق في وحول الأخطاء والمعاصي، ورد عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: "**رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ حُبُّ الدُّنْيَا**"69، وذلك لأنّ خصال الشرّ مطوية في حبّ الدّنيا وكل ذمائم القوة الشهوية والغضبية مندرجة في الميل إليها، ولذا قال الله عز وجل في سورة الشورى، الآية 20: "مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾"70.

و يمكن التخلّص من حبّ الدنيا بأمور:

1- العلم بمقابحها ومنافع الآخرة وتصفية النفس وتعديل القوتين:

68 العلامة المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، ج10، ص235.

69 م. ن، ص315.

70 العلامة المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج10، ص228، تصحيح وتحقيق: السَّيِّد هاشم رسولي، نشر: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية 1404، طهران.

جاء في الكافي في الصحيح عن أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ الله تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ حَسَرَاتٍ عَلَى الدُّنْيَا وَمَنْ أَتْبَعَ بَصَرَهُ مَا فِي أَيْدِي النَّاس كَثُرَ هَمُّهُ وَلَمْ يُشْفَ غَيْظُهُ وَمَنْ لَمْ يَرَ لِله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ نِعْمَةً إِلاَّ فِي مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ أَوْ مَلْبَسٍ فَقَدْ قَصُرَ عَمَلُهُ وَدَنَا عَذَابُهُ"** 71.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له"** 72.

2- الصبر على البلايا وما فات من الدنيا:

والحاصل أنّه من لم يصبر على ما فاته من الدنيا وعلى البلايا التي تصيبه فيها بما سلاه الله في قوله: " وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ "73، وسائر الآيات الواردة في ذم الدنيا وفنائها، ومدح الرضا بقضائه تعالى، تقطّعت نفسه للحسرات على المصائب، وعلى ما فاته من الدنيا، وربما يحصل الحسرات على ما يحصل له عند الموت من مفارقتها.

3- عدم النظر إلى أهل الترف:

(وَمَنْ أَتْبَعَ بَصَرَهُ مَا فِي أَيْدِي النَّاس)، أيْ: نظر إلى من هو فوقه من أهل الدنيا، وما في أيديهم من نعيمها وزبرجها نظر رغبة وتحسّر وتمن (**كَثُرَ هَمّهُ**)، لعدم تيسّرها له، فيغتاظ لذلك ويحسدهم عليها، ولا يمكنه شفاء غيظه، إلاَّ بأنْ يحصل له أكثر مِمّا في أيديهم، أو يسلب الله عنهم جميع ذلك، ولا يتيسر له شيء من الأمرين، فلا يشفي غيظه أبداً ولا يتهنّأ له العيش.

لذلك عليه أن ينظر إلى من هو دونه دنيوياً حتى يقنع ولا يحسد، ورد عن الامام الرضا عليه السلام: **"انظر إلى من هو دونك في المقدرة ، ولا تنظر إلى من هو فوقك ، فإن ذلك أقنع لك، وأحرى أن تستوجب زيادة"** 74.

4- أن ينظر إلى النعم الإلهية غير الظاهرة:

---

71 الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص316.

72 الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص129

73 سورة البقرة، الآيتان: 155 ـ 156.

74 القمي، علي بن بابويه، فقه الرضا،ص356.

(وَمَنْ لَمْ يَرَ لِله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ نِعْمَةً إلاَّ فِي مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ أَوْ مَلْبَسٍ)، أيْ: مَنْ توهّم أنَّ نعمة الله عليه منحصرة في هذه النعم الظاهرة كالمطعم والمشرب والمسكن وأمثالها فإذا فقدها أو شيئاً منها ظنّ أنّه ليس لله عليه نعمة، فلا ينشط في طاعة الله، وإنْ عمل شيئاً مع هذه العقيدة الفاسدة وعدم معرفة منعمه لا ينفعه ولا يتقبّل منه، فيكون عمله قاصراً وعذابه دانياً، لأنَّ هذه النعم الظاهرة حقيرة في جنب نعم الله العظيمة عليه من الإيمان والهداية والتوفيق والعقل والقوى الظاهرة والباطنة، والصحة ودفع شرّ الأعادي وغيرها مما لا يحصى، وإن أردت أن تعرف نعم الله عليك فاغمض عينيك.

والحاصل: أنَّ من لم يصبر أو لم يحسن الصبر والسلوة على ما رزقه الله من الدنيا، بل أراد الزيادة في المال والجاه مِمّا لم يرزقه إياه تقطعت نفسه حسرة بعد حسرة على ما يراه في يدي غيره مِمَّن فاق عليه في العيش، فهو لم يزل يتبع بصره ما في أيدي الناس، ومن اتّبع بصره ما في أيدي الناس كثر همّه، ولم يشفَ غيظه، فهو لم يرَ أنَّ لله عليه نعمة إلاَّ نعم الدُّنيا، وإنّما يكون كذلك من لا يؤمن بالآخرة، ومن لم يوقن بالآخرة قصر عمله، وإذ ليس له من الدنيا إلاَّ قليل بزعمه، مع شدة طمعه في الدنيا وزينتها فقد دنا عذابه، نعوذ بالله من ذلك.

ومنشأ ذلك كلّه الجهل وضعف الإيمان. وأيضاً لمّا كان عمل أكثر الناس على قدر ما يرون من نعم الله عليهم عاجلاً وآجلاً، لا جرم مَنْ لم يرَ من النعم عليه إلاَّ القليل، فلا يصدر عنه من العمل إلاَّ القليل، وهذا يوجب قصور العمل ودنوّ العذاب.

سادسًا: مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القزّ:

في الكافي عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: **"مَثَلُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا مَثَلُ دُودَةِ الْقَزِّ كُلَّمَا ازْدَادَتْ مِنَ الْقَزِّ عَلَى نَفْسِهَا لَفّاً كَانَ أَبْعَدَ لَهَا مِنَ الْخُرُوجِ حَتَّى تَمُوتَ غَمّاً وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: أَغْنَى الْغِنَى مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحِرْصِ أَسِيراً وَقَالَ لا تُشْعِرُوا قُلُوبَكُمُ الاشْتِغَالَ بِمَا قَدْ فَاتَ فَتَشْغَلُوا أَذْهَانَكُمْ عَنِ الاسْتِعْدَادِ لِمَا لَمْ يَأْتِ"**[75].

75 القمي، فقه الرضا، ص 356.

فأغنى الغنى يكون بترك الحرص، وليس بكثرة المال، فإنّ الحريص كلّما ازداد ماله، اشتدّ حرصه، فيكون أفقر وأحوج مِمَّن لا مال له.

وقد أنشد بعضهم في التمثيل بدودة القزّ:

أَلَمْ ترَ أَنَّ المرءَ طولَ حياتِهِ حريصٌ على ما لا يزال يناسجه

كدود القزّ ينسج دائماً فيهلك غمّاً وسط ما هو ناسجه

وفي الكافي عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، قَالَ: **"مَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَشَتَّتَ أَمْرَهُ وَلَمْ يَنَلْ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قَسَمَ الله لَهُ وَمَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللهُ الْغِنَى فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ أَمْرَهُ"**[76].

وذلك لأنّه كلما يحصل له من الدّنيا يزيد حرصه بقدر ذلك، فيزيد احتياجه وفقره،لعدم قناعته التي هي كنز لا يفنى، أما الحرص فهو حسرة لا تفنى.

76 الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 319.

مشروع تعليم الصلاة

الدرس السادس

دوام البر وعدم نسيان الذنب

دوام البر وعدم نسيان الذنب

أولاً: مفاهيم محورية:

- مفهوم البرّ.
- البرُّ لا يبلى.
- الذَّنبُ لا يُنسَى.
- الإنسان مخيّر في انتخاب الطريق.
- كَمَا تَدِينُ تُدَانُ.

ثانيًا: نصُّ الوصيّة:

فيما جاء من وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما رواه الْقُطْبُ الرَّاوَنْدِيُّ فِي لُبِّ اللُّبَابِ، قَالَ: **"الْبِرُّ لا يَبْلَى وَالذَّنْبُ لا يُنْسَى وَالدَّيَّانُ لا يَفْنَى فَكُنْ كَمَا شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ"**[77].

ثالثًا: في رحاب الوصية:

في هذه الكلمات القليلة نجد أنَّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد جمع لنا مسار الإنسانية وخريطة الطريق التي لا بدّ أنْ يسير عليها كلّ آدميّ من زمن تكليفه وحتى يوم رحيله عن هذه الدنيا، ولكن ببيان لطيف ومقال جامع، فإنّه صلوات الله عليه وعلى آله قد أعطاه الله جوامع الكلم، ونفائس البيان، وأسرار البلاغة. فرسم طريقين أساسين، أوّلهما طريق الخير والنور، وثانيهما طريق الشر والظلمة، ثمّ بيّن أنَّ هذين الطريقين تحت المراقبة والنظر الإلهي الذي لا يخطئ، فعاملُ الخير عمله محفوظ، وعامل الشرّ عمله محسوب.

---

77 الحلواني، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص16.

فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق وهو يعلم بما يصلحهم وما يفسدهم، وجعلهم ضمن نظامٍ متكاملٍ راعى فيه كلّ جوانب النجاح والصلاح، من التنظيم والتخطيط والإرشاد والتوجيه والمراقبة... وفي النهاية إمّا الفلاح وإما الخيبة، كما قال في محكم كتابه الكريم: " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ "[78] وهذه الكلمات على الرغم من قلّتها ينطبق عليها مقولة: (خيرُ الكلام ما قلّ ودلّ)، إذ فيها إشارات إِلَى عدّة نقاط:

أوّلاً: ذكر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ أعمال البرّ هي خير ما يقوم به بنو آدم.

ثانياً: إنَّ عمل البرّ إذا أُريد به وجه الله، فسوف يكون محفوظاً عنده تعالى، لهذا قال: **"لا يَبْلَى"**، ولا يخفى ما في هذا من التشويق والتحفيز لعامل البرّ، الأمر الَّذِي يدفعه إِلَى الاستمرار والمداومة عليه.

ثالثاً: التأكيد على أنَّ كُلّ ما يقوم به الإنسان من مخالفات ومعاصي مسجّل ومحفوظ ولا يُنسى، فلا يحسبنّ أحدٌ أنَّ الله غافلٌ عما يعمل العاملون.

رابعاً: التخيير في مرحلة العمل وعدم الإجبار على أحد الخيارين، فإنَّ الإنسان مخيَّر فيما يقوم به من عمل خير أو شر، فقد أعطانا الله العقل والشهوة، فمن غلب عقله على شهوته فقد أفلح ونجا، ومن غلبت شهوته على عقله فقد خاب وخسر، وهذا هو الامتحان والاختبار الحقيقي الذي يتميّز فيه المؤمن عن العاصي.

خامساً: هناك يومٌ معلومٌ لابدّ منه، فلا يظُنّنّ أحدٌ أنّه إذا استطاع أن يحتال أو يتجرّأ على أحكام الله ينجو ويفوز، بل هناك يومٌ توضع فيه الموازين القسط حيث لا يظلم فيه ربّك أحداً.

بعد هذه النظرة الإجمالية لا بدّ من الوقوف تفصيلاً على هذه النقاط، لنتعلّم من ملهم البشرية ورسول الإنسانية صلوات الله عليه وعلى آله.

رابعًا: مفهوم البرّ:

البرّ هو معنى جامع لأعمال الخير والطاعة والإحسان والمفاهيم الحسنة التى يدعو إليها الإسلام، وقد استخدم القرآن الكريم هذه المفردة في عدّة مواضع، أهمّها:

78 سورة الشمس، الآيات: 7 – 10.

الأول: بمعنى التقوى، كما في قوله تعالى: "يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾" 79.

وقد قال الشاعر:

لعمرك إنَّ البرَّ منْ أعظمِ التُّقى وإنَّ عقوقَ الوالدين عظيمُ

الثاني: بمعنى الإيمان: ومنه قوله تعالى: "لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ..." 80.

الثالث: بمعنى الإحسان، كما في قوله تعالى: "لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾" 81. وورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم استعمال البرّ في المفهوم الجامع لمعاني الخير، كما في الموثق عن أبي عبد الله عليه السلام، قَالَ: **"قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فَوْقَ كُلِّ ذِي بِرٍّ بِرٌّ حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ الله فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَلَيْسَ فَوْقَه بِرٌّ"** 82.

خامسًا: البرُّ لا يبلى:

تحدّثت الرواية عن نقطةٍ مهمّة، وهي أنَّ البرّ (لا يَبْلَى)، أي: لا يفنى ولا يزول، وهذا من عظيم كرم الله سبحانه وتعالى وتفضّله علينا، فنحن نلاحظ أنَّ كلّ ما عندنا هو من الله تعالى، وله الحكم والأمر، وقد أسبغ نعمه علينا ظاهرة وباطنة، ومع ذلك لو عملنا أدنى عمل فإنّه يعدنا بالثواب والعطاء الجزيل، والحال أنَّه لا قيمة لأعمالنا إذا قايسناها مع نعم الله تبارك وتعالى، وقد ورد هذا المعنى في دعاء السحر الوارد عن الإمام السجاد عليه السلام: **"وَمَا قَدْرُ أَعْمَالِنَا فِي جَنْبِ نِعَمِكَ وَكَيْفَ نَسْتَكْثِرُ أَعْمَالاً نُقَابِلُ بِهَا كَرَمَكَ".**

---

79 سورة البقرة، الآية: 189.

80 سورة البقرة، الآية: 177.

81 سورة آل عمران، الآية: 92.

82 الشيخ الكُلَيْني، مُحَمَّد بن يعقوب، الكافي، ج2، ص348، ح 4، تصحيح وتعليق على أكبر غفاري، الطَّبعة الثّالثة 1367ش، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

وبفضل هذا اللطف الإلهي على بني البشر أصبحت الحسنات مضاعفة والسيئات تسجّل كما هي، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾83، لأنّه عمل لله، وما كان لله ينمو ولا يفنى. وكما ذكر في القرآن الكريم﴿..وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾84. وهناك الكثير الكثير من الآيات والأحاديث التي تدلّ على أنّ الأعمال الحسنة محفوظة عند الله تعالى، ويضاعفها لمن اتّقى.

سادسًا: الذنب لا ينسى:

الطريق الَّذِي يقابل الطاعة والخير والعطاء هو طريق الذنوب والمعاصي والابتعاد عن الله تعالى، فإنّ الذنوب من موجبات سخط الله تعالى ورسوله والأئمة الميامين صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا انحرافٌ عن الجادة وابتعاد عن الصراط، والذنوب أنواع وأشكال وألوان، فمنها الباطني ومنها الظاهري، ومنها الكبير ومنها الصغير، وكلُّها تعبيرٌ عن النكران للنعمة والدخول في سلك الجحود، وفي الحقيقة الذنوب من مهلكات الأمم والشعوب، قال الله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾85. والكلام حول الذُّنوب طويل وعريض، ويكفينا أنْ نعرف أنَّها تسوِّد قلب الإنسان في الدنيا وتسوّد وجهه في الآخرة، فقد ورد في الموثق عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: **﴿إِذَا أَذْنَبَ الرَّجُلُ خَرَجَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِنْ تَابَ انْمَحَتْ وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَغْلِبَ عَلَى قَلْبِهِ فَلا يُفْلِحُ بَعْدَهَا أَبَداً﴾**86.

والأدهى من هذا وأعظم أنَّ هذه الذُّنوب لا تُنسى،كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (وَالذَّنْبُ لا يُنْسَى)، ولا يخفى ما في هذه الفقرة من تهديد ووعيد للعاصين والخارجين عن حدود الله سبحانه وتعالى، فهو خطاب يعيد العقل إلى الصواب والرشد، ولا بدّ من التفكير ملياً في الأمر، لأنَّ الله سبحانه لا ينسى ما نقوم به، وقد وكّل ملكان عن اليمين وعن الشمال، قال عزّ شأنه: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ

83 سورة البقرة، الآية: 276.

84 سورة المزمل، الآية: 20.

85 سورة نوح، الآية: 25.

86 الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص268.

قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾"87. وقد ورد في الشعر المنسوب إِلَى مولانا زين العابدين عليه السلام:

لا تظلِمَنَّ إذا مَا كُنتَ مقتدراً ... فالظلمُ آخرهُ يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبهٌ ... يدعو عليك وعينُ الله لم تنم

وقال آخر:

النّملُ في الصخور الصمّ قدسه ... والنحل يهتف حمداً في خلاياه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم ... والعبد ينسى وربّي ليس ينساه

سابعًا: الإنسان مخيّر في انتخاب الطريق:

(فَكُنْ كَمَا شِئْتَ): على الرغم من أنَّ طريق الخير واضح النتائج لم يجبر الباري تبارك وتعالى عبيده على السلوك فيه، والانحراف عن طريق الشرّ، بل تركهم ولهم تمام الاختيار في انتخاب واختيار الطريق الذي يشاؤون، قال تبارك تعالى: "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾"88. وقال في آيات أخرى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾"89، فعندما يأخذ الإنسان طريق الصلاح والطاعة والفلاح ويفضّله على طريق الفساد والمعصية والخيبة فإنّما يدلُّ على أنّه إنسان نظر نظرة ثاقبة إلى المستقبل البعيد، الذي يكون فيه سعيداً إلى الأبد،وهذا يدلّل على أنّه إنسان طاهر النفس نقيّ الفؤاد، ذو إرادة صلبة وعزيمة قويّة.

إنَّ للهِ عباداً فُطَنا ... طلّقوا الدُّنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمّا علِموا ... أنَّها ليست لحيٍّ وطنا
جعلوها لجّةً واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

---

87 سورة ق، الآيات: 17 - 19.

88 سورة الإنسان، الآيات: 3 - 5.

89 سورة الشمس، الآيات: 7 – 10.

ثامنًا: كما تدين تدان:

لا يخفى ما في هذه الكلمة من التهديد والوعيد للعاصين، وفي الوقت ذاته لا تخلو من بشرى للمطيعين، فالنبيُّ الأعظم صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين يريد أنْ يقول لنا أنَّ الجزاء من جنس العمل بقوله: "**كَمَا تَدِينُ تُدَانُ**"، أيْ:كما تعتقد أو تعمل تُجازى، فلو كنت تفعل الخير فسيكون جزاؤك الخير، وإنْ كنت تفعل الشرّ فسيكون جزاؤك الشر، قال تعالى: "وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾"90، وقد قال أيضاً: "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾"91.

فيا أيُّها الإنسان لا مفر من ديان الدين إلاَّ إليه، ولا ملجأ منه إلا إليه، فتعال نفكّر قبل أنْ نختار، وإنْ كنّا قد سلكنا طريق الخطأ، فلنتب إلى الله الرحمن الرحيم الذي يقبل التوبة عن عباده ويبدّل سيئاتهم حسنات...

90 سورة الكهف، الآية: 49.

91 سورة الزلزلة، الآيتان: 7 – 8.